- ١٩٧٩ -

الفصل الأول

في سنة ١٢١٧، عندما انتهت الهدنة التي كانت معقودة فيما بين المسلمين والصليبيين(١)، وبعد العبور الأول الذي جاء بعد مجمع اللاتيران(٢)، احتشد جيش المولى الكبير في عكا مع ثلاثة ملوك هم: ملك القدس(٣)، وملك هنغاريا(٤)، وملك قبرص(٥)، وهم لم يحملوا معهم تقدمات طقوسية، ولم يقدموا شيئاً كان جديراً بالتذكر، وكان دوق النمسا هناك (٦)، وكذلك دوق ميران(٧)، مع عدد كبير من المرافقين، ورجال من أصل رفيع، ورئيس أساقفة نيقوسيا(٨)، ورئيس أساقفة رآب(٩) Raab، ورئيس أساقفة ايرلو(١٠)Erlau ، ورئيس أساقفة هنغاريا (١١)، ورئيس أساقفة بيو (١٢) Bayeux ، ورئيس أساقفة بامبرغ(١٣)، ورئيس أساقفة زتز (١٤)Zeitz ورئيس أساقفة مونستر (١٥)Munstor ، ورئيس أساقفة أوترخت (١٦)، وكان معهم قوى، ورجال نبلاء، منهم اللورد وولتر أفسني(١٧) Avesnes، الذي ترك بعد عودته في عبور الربيع أربعين جندياً في خدمة الأرض المقدسة، وزودهم بتمويل وبنفقات كانت كافية لمدة سنة، وتصرف البافاريون برعونة، وبشكل مضاد لقانون الحجاج بقيامهم بتدمير حدائق وبساتين المسيحيين، لابل أكثر من هذا برميهم الاتقياء والدينيين من مآويهم، وعندما لم يشبعهم هذا أقدموا على قتل المسيحيين، أما بالنسبة لدوق النمسا، وكان أميراً كاثوليكيا، فقد قاتل في سبيل المسيح طوال الوقت.

الفصل الثاني

رفع بطريرك القدس (١٨) بكثير من التواضع والتبجيل خشبة الصليب المانح للحياة، وكان بذلك ممثلاً لرجال الدين والشعب،

وانطلق من عكا في اليوم السادس الذي حل بعد عيد جميع القديسين (٦ — تشرين ثاني ١٢١٧) إلى معسكر الرب الذي انتقل الآن إلى خربة كرذاني (١٩)، وكانت هذه الخشبة الحلوة محفوظة حتى هذا الوقت، حتى من بعد فقدان الأرض المقدسة، وعندما كان الصراع بين المسلمين والصليبيين مخيفاً أيام صلاح الدين، حسبما عرفنا عن طريق أجدادنا، جرى تقطيع الصليب إلى قطع، وقسم منه هو الذي حمل إلى المعركة، وتم فقدانه هناك(٢٠)، وقسم منه هو الذي حفظ وهو الذي عرض الآن، وفي ظل مثل هذه الراية زحفنا في صفوف منتظمة خلال سهل الفوله (٢١)على مقربة من نبع طوبانيا(٢٢)، وقد بذلنا جهوداً كبيرة في هذا اليوم، وعندما أرسلنا كشافة أمامنا، وذلك بعد رؤيتنا للغبار الذي ثار أمامنا من قبل أعدائنا، لم نكن متيقنين فيما إذا كانوا جاءوا مسرعين للهجوم علينا أم كانوا فارين، وانطلقنا في اليوم التالي من خلال جبال جلبوع(٢٣) التي كانت عن يميننا مع مستنقع بيت شان(٢٤) عن يسارنا، حيث كان العدو قد أقام مخيما له ، لكن لخوفه من وصول جيش الرب الحي، الذي كان كبير التعداد جداً، وكان يزحف بنظام عظيم، قوض المعسكر وهرب، تاركا البلاد لتتعرض للسلب والنهب من قبل جند الرب، وعبرنا من هناك الأردن ليلة عيد القديس مارتن (٧ تشرين ثاني)، وقد غسلنا أجسادنا هناك ونحن نتمتع فيه، واسترحنا هناك لمدة يومين في المكان نفسه، حيث وجدنا وفرة من الأطعمة والأعلاف،ثم أمضينا ثلاثة أيام راحة على شواطىء بحر الجليل (طبرية)، وتجولنا في خلال الأماكن التي تلطف مخلصنا وقام فيها بعدد من المعجزات، وتحدثنا مع رجال كانوا على شكل جماعة صغيرة هناك، وتطلعنا نحو بيت صيدا (٢٥)، وهي مدينة أندرو وبطرس، ثم إنها تحولت إلى قلعة صغيرة، كما رأينا أماكن حددت لنا وفيها دعا المسيح حواريه وسار على وجه البحر بقدمين جافين، وأطعم الحشود في الصحراء، ثم مضى وحيداً إلى الجبل ليصلي، وشاهدنا المكان الذي أكل فيه مع حواريه بعد

القيامة، وهكذا عدنا إلى عكا، ونحن نحمل معنا مرضانا والمحتاجين من أخواننا، ومررنا من خلال كفر ناحوم(٢٦)، وهم على ظهور حيوانات التحميل

الفصل الثالث

ووصلنا في الإغارة الثانية إلى سفوح جبل الطور، ووجدنا في البداية نقصاً في الماء، لكن حصلنا فيما بعد على وفرة من الماء عندما حفرنا من أجل ذلك، وخشي قادتنا من صعود الجبل حتى جاء صبي مسلم فأخبرهم بأن من الممكن الاستيلاء على المعسكر فوضعوا خطة، وفي الحقيقة مع أول أحد من شهر قدوم الرب (٣— كانون أول) وميلاده وبعدما تمت قراءة ما جاء في الانجيل: «إذهبا إلى القرية التي أمامكما» (متى : ٢١/ ٢)، سار البطريرك متقدما نحو الأمام ومعه شارة الصليب، وبرفقته الأساقفة ورجال الدين، وصعدوا إلى الجبل وهم يدعون وينشدون المزامير، ومع أن الجبل كان شديد الانحدار من جميع الجهات وعاليا، وبدا من غير الممكن تسلقه من دون توفر ممر ممهد بشكل جيد، مع ذلك تمكن الفرسان مع مرافقيهم والخيالة والجنود الرجالة من تسلقه برجولة، وتمكن جون ملك القدس مع جيش الرب من الاستيلاء على القلعة مع هزيمة الأمير بأول هجوم، وجعل المدافعين عن القلعة يلجأون إلى الفرار وقد استولى عليهم الرعب، غير أنهم بدأوا يدافعون عن الجبل، وبدون خوف قاوموا الأعداء خارج أبواب الحصن، وهكذا خسر الملك وقتها كثيراً من الفخار الذي كسبه وقت الصعود، وضاع الآن كل شيء وقت النزول، لأنه بنزوله في يوم الأحد نفسه وبجعله الآخرين ينزلون منح التشجيع للمسلمين بوساطة فسحة الوقت التي منحهم إياها، لكننا لاندري بأي أمر رباني أو بوساطة أية خطة نزل قادة جيش الرب، ثم انسحبوا بشكل مهين، وهذا على كل حال لانعرفه، لأن عين الانسان

لايمكنها أن تنفذ إلى أسرار وبواعث الأوامر الربانية، وجرح الآن كثير من الداوية والاسبتارية وبعض الجنود أثناء التسلق الثاني للجبل، وذلك بعدما تلقوا قواتاً جديدة من المعسكر، لكن قلتهم الذين ماتوا، ونحن نعتقد أن المسيح ربنا قد احتفظ بنصر الجبل هذا لنفسه وحده، لأنه قد صعده مع عدد قليل من الحواريين، وهناك أوضح عظمة القيامة المستقبلية ومجدها، زد على هذا أن الصليبيين حملوا معهم في الإغارة الأولى وفي الإغارة الثانية حشداً عظيماً من الأسرى، من رجال ونساء، لابل حتى من الأطفال، وقام الآن (جاك دي فيتري) أسقف عكا بتعميد الصغار، الذين أمكنه أن يكسبهم إلى جانبه بالهدايا أو بالالتماسات، وتولى توزيعهم فيما بين نساء الدين، وأعدهم لتلقي التعليمات والتوجيهات.

الفصل الرابع

في الاغارة الثالثة (٢٧)، التي حمل فيها البطريرك شارة الصليب، والتي لم يشارك فيها رجال الدين المقدسين، عانينا من كثير من الخسائر والمصاعب، وذلك بقدر ما عانينا من قطاع الطرق، ومن شدة الشتاء، لاسيما أثناء الزحف في الليلة المتقدمة على يوم ميلاد الرب، وذلك عندما هلك كثير من الفقراء والدواب بسبب البرد، وفي ليلة الميلاد نفسها عندما تحملنا مشاق عاصفة حادة اجتاحت البلاد، ترافقت مع رياح وأمطار في منطقة صور وصيدا قرب الصرفند.

الفصل الخامس

وانقسم بعد هذا جيش الرب إلى أربعة أقسام، وقد توجه ملك هنغاريا وملك قبرص نحو طرابلس، حيث أنهى ملك قبرص

الشاب(٢٨) حياته، وبعد قليل من التأخير انسحب ملك هنغاريا، مما سبب أذى كبيراً للأرض المقدسة (٢٩)، وأخذ معه حجاجاً أيضاً، وخوذاً وخيولا، وحيوانات تحميل محملة بكثير من السلاح، مع أنه تلقى انذارات كثيرة من البطريرك بوجوب عدم قيامه بالتراجع هكذا، وأخيراً تم حرمانه كنسيا، ومع ذلك ركب رأسه وغادر ومعه حاشيته، وحدث انقسام آخر بين الحجاج الكسالى والجبناء الذين رقدوا وجلسوا فاستهلكوا كميات كبيرة من الأشياء الدنيوية، وكانوا قد بقيوا في عكا، لكن ملك القدس ودوق النمسا ومعه فرسان مشفى القديس يوحنا(٣٠)، والأساقفة الذين تقدم ذكرهم وبصحبتهم بعض الآخرين، تمكنوا في وقت قصير برجولة وبايمان من تحصين قلعة قيسارية في فلسطين، مع أنه أعلن مرارا عن وصول الأعداء ، ومن خلال هذه القلعة بعون الرب، سوف يتم استرداد المدينة نفسها، وفي بازيليكا أمير الحواريين احتفل البطريرك مع ستة من الأساقفة بشكل مهيب بعيد الطهارة (٢ شباط ١٢١٨)، زيادة على هذا أن الداوية (٣١) مع اللورد وولتر أوف أفسني وبعض الحجاج المساعدين، والاسبتارية من أخوانية التيوتون (٣٢) شرعوا في إعادة تحصين قلعة الحجاج (٣٣)، التي كانت تدعى من قبل دستروبت Destroit، وهذه قائمة في أسقفية قيسارية فيما بين حيفا وقيسارية، ووضعها هو كما يلي:

الفصل السادس

هي واسعة وعالية، وتطل بشكل عظيم على البحر، وهي محصنة بشكل طبيعي بوساطة الشعاب الجبلية في الشمال والغرب والجنوب، أما باتجاه الشرق فهناك برج قوي جرى إعماره في وقت مضى من قبل الداوية، وقد حافظ على صموده بشكل جيد في الحرب وفي أيام الهدنة، وقد أقيم هذا البرج هناك بالأصل بسبب وجود العصابات التي كانت

تهدد الغرباء الذين كانوا يصعدون الى القدس ويسيرون عبر الممرات الضيقة، ثم يهبطون عائدين منها، ولم يكن هذا البرج بعيداً عن البحر، وبسبب وجود الممر الضيق أطلق عليها اسم دسترويت، وعندما عمرت قلعة قيسارية وكملت، أخذ الداوية يحفرون بشكل متواصل وبشكل متعارض في قنة الجبل، وبعد عمل استغرق ستة أسابيع، وصلوا أخيراً إلى أول الأساسات، حيث بدا أن السور القديم كان سميكاً وطويلاً، وتم العثور على مال هناك من النقود التي لم تعد بالاستخدام وهي غير معروفة في الوقت الحاضر، وقد جاءت بمثابة هبة من خلال احسان ابن الرب لجنوده لتعين على انفاقهم أثناء عملهم، وبعد ذلك وفيما هم يحفرون وينقلون الأتربة من أحد الأماكن الأمامية تم العثور على سور آخر أقصر، ونبعت فيها بين وجه الأرض الممهد والسورين ينابيع تدفقت منها مياه عذبة، وزودنا الرب أيضاً بوفرة من الحجارة والملاط، وتمت أعمال بناء البرجين أمام الحصن بحجارة منحوتة ومناسبة وذات أحجام كبيرة، حتى أن الحجر الواحد كان يحمل بكل صعوبة على عربة شد إليها ثورين، وكان كل واحد من البرجين بطول مائة قدم، وسبعين قدما بالعرض، ومن حيث السماكة احتويا على مظلتين لحماية الجند، وكان ارتفاعهما أعلى بكثير من قنة الجبل، وأكمل بناء سور فيما بين البرجين مع شرافات ، وكان من الممكن بوساطة العمل الحرفي البارع للفرسان المسلحين الصعود إلى أعلى البرج في الداخل والنزول، ومثل هذا جرى بناء سور آخر على مسافة صغيرة من البرجين، وقد امتد من طرف من أطراف البحر إلى الطرف الآخر، وحوى من الداخل على نبع ماء للحياة وأحيطت قنة الجبل من كلا الجانبين بوساطة سور مرتفع، امتد حتى الصخور، واحتوى الحصن على بيعة صغيرة داخل قصر مع عدد من البيوت، والفائدة الأساسية من هذا البناء هي جمع الداوية، بعدما اقتيدوا إلى خارج عكا، وهي مدينة آثمة امتلأت بجميع أنواع الدنس، وكانوا سيبقون شحنة لهذا الحصن حتى يتم استرداد أسوار القدس، وفي منطقة هذه القلعة وفرة

من الأسماك، ومناجم الملح، والغابات، والمراعي، والحقول والأعشاب، وهي تسحر سكانها بكرومها التي زرعت أو التي سوف تزرع، وببساتينها وحدائقها، ولايوجد فيما بين عكا والقدس أية قلعة بأيدي المسلمين، ولهذا تأذى المسلمون كثيراً بوساطة الحصن الجديد، ومع خوف الرب وهو يطاردهم، أرغموا على مغادرة هذه المناطق الزراعية، وامتلك هذا المبنى مرسى طبيعياً جيداً، سوف يكون أحسن عندما يعاون بوساطة العمل الفني، وهو يبعد ستة أميال عن جبل الطور، ويفترض أن بناء هذه القلعة قد كان السبب في تهديم الأخرى، لأنه في السهل الواسع القائم فيما بين منطقتي الجبال العائدتين لجبل الطور وهذا المعسكر، ما من أحد يمكنه الفلاحة بسلامة وأمان أو الحصاد أو انضاج أي شيء بسبب الخوف الذين يعيشون فيه .

الفصل السابع

وسقط أسقف مونستر (٣٤) Munster نائماً في الرب في قيسارية، ووصل المعلم توماس (٣٥)، وكان لاهوتيا، وحكيما صاحب عقل واضح جيد الى نهاية أيامه في قلعة ابن الرب(٣٦).

الفصل الثامن

وعاد بعد هذا جيش الرب إلى عكا، وأعدّ أساقفة ألمانيا وآخرون كثر أنفسهم لعبور البحر، بعدما تأخروا لبعض الوقت في أرض الميعاد، وكان من المتوقع توفر عبور آخر ثاني، وخاصة مع توفر اسطول قادم من الشمال(٣٧)، كان من المؤمل أن يبحر خلال بحر قرطاج الضيق، فمن بداية الدعوة لحمل صليب المسيح أعدت منطقة كولون بحماس عظيم وبانفاق هائل، حوالي الثلاثمائة سفينة استمر بعضها بالبقاء،وهلك

بعضها الآخر بقوة العواصف، والمهم أن الجزء الأكبر وصل إلى عكا مع شجاعة عظيمة من جانب المحاربين، وقد نشأ خلاف كبير هناك، عندما رغب بعضهم في متابعة السفر، بينما رغب آخرون في امضاء الشتاء في حصار الحصن القوي جداً، المدعو الكاتيا (٣٨) Alcatia، وهناك انقسم الاسطول حيث أمضى قسم منه الشتاء في غيتا Gaeta وكورنتو Cor-neto وتولى القسم الآخر حصار الكاتيا تحت قيادة قائدين هما : الكونت وليم صاحب هولندا (٣٩) ، والكونت جورج أوف ويد Wied (٤٠)، وجرى الاستيلاء على حصن الكاتيا هذا من قبل الألمان والفريزيين، وظل في أيديهم حتى أيام قيامهم بحصار حشد كبير من المسلمين الذين قاتل ضدهم برجولة كل من فرسان الداوية وفرسان القديس جيمس (٤١)، ووقتها حاربوا مع جيش ملكة البرتغال (٤٢)، وأخيراً الحقت الهزيمة بالمسلمين بوساطة قوة سماوية: وجرى قتل واحد من ملوكهم وقتل معه عدد كبير من المسلمين أو وقعوا بالأسر (٤٣).

الفصل التاسع

وعاشت مقاطعة كولون حالة من الجيشان للعمل في سبيل خدمة مخلص العالم من خلال عدد من العلامات اللائي ظهرن في السماء، لأنه ظهر في السماء في مقاطعة كولون، وفي أسقفية مونستر، في قرية في فريزيا اسمها بيدوم Bedum، في شهر أيار وفي اليوم السادس قبل عيد الحصاد (١٦ — أيار) ، عندما جرت الدعوة لحمل الصليب هناك، وقتها ظهر شكل ثلاثي في السماء، شكل أبيض متجه نحو الشمال، وآخر متجه نحو الجنوب له الشكل نفسه واللون، أما الثالث فقام في الوسط، وهو مظلل باللون، وله تشعبات الصليب، وجسد انسان ممدد عليه، ويداه مرفوعتان وممدودتان مع علامات المسامير على اليدين والقدمين مع رأس مطأطىء، وكان هذا الشكل الوسيط فيما بين الشكلين الآخرين، حيث لم

تظهر عليه أية علامات لشكل جسم انساني، وفي وقت آخر ومكان آخر في قرية في فريزيا، ظهر أثناء وقت الدعوة لحمل الصليب على موازاة الشمس صليب لونه أزرق ، والذين رأوا هذا كانوا أكثر عدداً من الذين رأوا المشهد المتقدم، وكان المشهد الثالث في أسقفية أوترخت في قرية دكوم Dokkum حيث كان القديس بونفيس Boniface قد استشهد، ففي أثناء الاحتفال بعيد هذا القديس نفسه (٥ حزيران) حيث احتشد عدة آلاف من أجل هذا القديس نفسه، ظهر صليب أبيض كبير وكأنما حزمة ضوئية وضعت على الأخرى بشكل مصطنع، ورأينا هذه العلامة جميعاً، وقد تحركت الآن بشكل تدريجي من الشمال الى الجنوب، ونحن نعتقد ان المشهدين الآخرين قد ظهرا لإزالة جميع الغموض المتعلق بالمشهد الأول، وذلك مثلما يقول الرسل حول القيامة: «أنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر، وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ » (كورنثه: ١٥/ ٥— ٦).

الفصل العاشر

في سنة النعمة لـ ١٢١٨، وفي شهر آذار، بدأت السفن تبحر نحو ميناء عكا من مقاطعة كولون مع سفن أخرى صغيرة من مقاطعة بريمن Bre-men وتريـر Trier ، وبذلك جرى تنفيذ الخطة التي وضعت في مجمع اللاتيران الذي انعقد في روما تحت رئاسة البابا انوسنت صاحب الذكرى الطيبة، وذلك من أجل قيادة الجيش الصليبي إلى الأراضي المصرية، وبناءً عليه في شهر أيار، بعد صعود الرب (٢٤ أيار) عندما باتت السفن معدة، والغلايين مجهزة بالأسلحة، والسفن الأخرى محملة، أقلع الجميع من عكا مع الملك جون ملك القدس، والبطريرك وبصحبته أساقفة نيقوسيا، وبيت لحم، وعكا، ودوق النمسا وبرفقته فرسان البيوت الثلاثة: (الداوية والاسبتارية والتيوتون) وحشد كبير من

الصليبيين، وصدرت الأوامر للأسطول للاجتماع عند قلعة ابن الرب، التي تدعى قلعة الحجاج، ثم إنه بعدما هبت ريح شمالية وصل الملك والدوق ومقدموا البيوت الثلاثة إلى المكان المحدد، وأقلع الحشد بسرعة كاملة، وفي اليوم الثالث وصل إلى ميناء دمياط، لكن بالنسبة للقادة الذين تقدم ذكرهم، فقد تأخروا بعض الوقت عند القلعة، ولم يتمكنوا من اللحاق بالحشد حتى اليوم السادس بعد مغادرتهم ميناء عكا، يضاف إلى هذا أن آخرين ممن لم يكونوا قد استعدوا تأخروا بعض الشيء في عكا بعد الذين أبحروا أولاً، وهؤلاء إما مكثوا بشكل نهائي في عكا، أو أنهم حاولوا السفر فردتهم الرياح العاتية إلى عكا، أو ظلوا تتقاذفهم الأمواج وسط البحر لمدة ثلاثة أسابيع أو أربعة، وبقي رئيس أساقفة الرايمز (٤٥) Rheims وأسقف ليموز (٤٦) Limoges ، في عكا بسبب سنهما المتقدم، ومات أسقف ليموز هناك، أما أسقف الرايمز فقد عاد مع عبور الصليب المقدس، وهلك على الطريق.

وعندما جاءوا الآن للرسو عند ميناء دمياط اختاروا كونت أوف ساربروكن Saarbrucken قائداً لهم، واستولوا على الأرض المعادية في اليوم الثالث (٢٩ أيار) بدون أية خسائر بالدماء، وذلك من قبل أن يلحق بهم الملك والقادة المتقدم ذكرهم، لأنه عندما زحف قلة من المسلمين ضد الفرسان في الميناء، قام واحد من الفريزيين وقد غرس ركبته اليمنى، بالأرض ، وأمسك ترسه بيده اليسرى ، وسدد رمحه الحديدي بيده اليمنى ، وكان واحداً من الخيالة المسلمين يراقبه فظن أنه كان يلعب، وهنا رماه الفريزي مع مطيته، فهلك وسقط إلى الأرض، وعندما هرب الباقون متخلين عن جهازهم وعتادهم، قام الصليبيون بتثبيت حدود المعسكر فيما بين شاطىء البحر وضفة نهر النيل، وأثار هذا الاعجاب العظيم للذين لحقوا بهم وذلك عندما رأوا الخيم وقد نصبت، وحاق الرب معجزة تجلت بالحقيقة التالية، وهي أنهم لدى وصولهم أولاً

كانت مياه النهر متحدة مع البحر، ومن ثم كانت في مناسبات عديدة فيما بعد ذات طعم مالح، ولقد أمكن جرها وهي عذبة المذاق طوال الطريق إلى القلعة التي كانت تبعد حوالي الميل فوق دمياط، وبعد وقت قصير من وصول الصليبيين حدث خسوف كامل للقمر، ومع أنه بالعادة يحدث لأسباب طبيعة عندما يكون القمر بدراً، لكن لأن مخلصنا قال:«وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم». (لوقا: ٢١/ ٢٥)، قمنا بتأويل هذا الخسوف وتفسيره على أنه شارة سوء بالنسبة للمسلمين، وكأنها تدلل على سقوط الأشخاص الذين ربطوا أنفسهم بالقمر، واضعين قوة عظمى في القمر المضمحل أو الشاحب اللون، ونقرأ الآن في كتاب كوينتوس كورتيوس (٤٨) Quintus Curtius أن الاسكندر المقدوني قاهر العالم كله، عندما انطلق للحرب ضد داريوس والفرس، من بلاد الاغريق إلى بلاد آسيا، وعندما سارت أرتاله المعبأة بشكل جيد على هذا الجانب، وقع وقتها خسوف للقمر، وأوّل الاسكندر هذه الظاهرة لصالح الإغريق ضد الميديين والفرس، وشجع رجاله، وقاتل ضد داريوس وهزمه.

الفصل الحادي عشر

وكان هناك برج قائم في وسط النهر، توجب الاستيلاء عليه قبل العبور، وعبر الفريزيون، الذين كانوا على كل حال عديمي الصبر تجاه التأخير، النيل واستولوا على كثير من حيوانات المسلمين، ورغبوا في نصب المعسكر في الجانب الأقصى من الشاطىء، وتمسكوا بأرضهم وقاتلوا ضد المسلمين الذين جاءوا من مدينتهم للتصدي لهم، لكن أمكن ارجاعهم بواسطة الأوامر المطاعة، لأنه لم يبد أمراً حكيماً بالنسبة لقادتنا أن يدعوا برجاً مشحوناً بالمسلمين خلف الصليبيين، وفي الوقت نفسه أعد دوق النمسا ومعه الاسبتارية سلمين وضعوهما فوق سفينتين،

وقام التيوتون والفريزيون بتحصين سفينة ثالثة مع دريئة واقية وضعت فوق حصن صغير ثبت على قمة السارية، وذلك بدون تعليق سلم، وكان رأسهم، وقائدهم، وصاحب الرأي بينهم الكونت أدولف أوف بيرغ، (٤٩) وكان رجلاً نبيلاً وقوياً، كما كان أخاً لرئيس أساقفة كولون،(٥٠) ومات الكونت أمام دمياط قبل الاستيلاء على البرج، وجرى توجيه سلمي الدوق والاسبتارية ضد البرج في وقت الاحتفال بعيد القديس يوحنا المعمدان (٢٤ حزيران)، وكان المسلمون يدافعون عنه برجولة، وانشطر سلم الاسبتارية وتحطم مع السارية، وألقى بمقاتليه من الأعلى إلى الأسفل، وتحطم سلم الدوق في الوقت نفسه تقريباً، وبعث إلى الجنة جنوداً كانوا نشطاء ومسلحين بشكل جيد، وكانوا قد جرحوا في أجسادهم لصالح أرواحهم، وتتوجوا بشهادة رائعة، وسخر المصريون منا بعنف، ورفعوا أصواتهم، وقرعوا الطبول، وزعقوا بالأبواق، وهاجم الحزن والأسى الصليبيين، لكن سفينة الألمان والفريزيين ألقت بمراسيها فيما بين البرج والمدينة، مسببة خسائر كبيرة للمصريين بوساطة المنجنيق الذي أقيم على ظهرها، ولحق الأذى بشكل أعظم الذين كانوا واقفين على الجسر الممتد فيما بين المدينة والبرج، وهوجمت السفينة بعنف شديد من قبل مقاتلي المدينة، وبوساطة الجروخ المرمية من البرج ومن الجسر، وكذلك بوساطة النفوط، وأخيراً استولت عليها النيران، ومع أن الصليبيين خشيوا أنها سوف تتدمر كلياً، تمكن المدافعون عنها من إطفاء اللهب بشجاعة، ومثل هذا كان النشاب قد خرق من كل من الداخل والخارج الحصن الذي وضع على رأس السارية، لابل خرق حتى الحبال التي تعود إلى كل من الأشرعة والسواري، وأعيدت السفينة إلى وضعها وهي تحمل الشرف العظيم للصليبيين، وكانت هناك سفينة أخرى تعرضت لكثير من الأضرار وتحملت ذلك، وعادت هذه السفينة إلى الداخلية وكانت محصنة بسواتر دفاعية لذلك صمدت أمام البرج وقت الهجوم.

الفصل الثاني عشر

وعلى كل حال أدركنا أن البرج لايمكن الاستيلاء عليه لابوساطة قذائف العرادات أو حجارة المجانيق (لأن هذا جرب لعدة أيام)، ولابجعل الحصن أكثر قرباً، بسبب عمق مياه النهر، ولاباستخدام التجويع بسبب وجود المدينة المحيطة به، ولابوسيلة اللغم لصعوبة ذلك وقسوة المياه التي تتدفق هناك، وباظهار الرب وتبيانه لنا كيفية العمل وتوفيره لنا مهندساً، وبتقديم الألمان مع الفريزيين العتاد والعمل قمنا بوصل سفينتين وحزمهما معاً بقوة وثبات بوساطة العوارض الخشبية والحبال، وهكذا منعنا (بربط المنشأتين عن قرب ببعضهما) خطر الجنوح، وأقمنا أربع سواري، والعدد نفسه من حوامل الأشرعة، وقد وضعنا في أعلاهم حصناً قوياً موصولاً بأعمدة وبشبكة دفاعية، وغطينا الحصن بالجلود من جميع الجهات، كوسيلة للوقاية من ضربات آلاتهم، وعلى أعلاه كوسيلة للدفاع ضد النار الاغريقية، ووضع تحت الحصن سلم، جرى تعليقه بحبال قوية جداً، وقد امتد إلى الأمام مسافة ثلاثين ذراعاً أمام قيدوم السفينة ، وأكملت هذه العملية بنجاح في وقت قصير ، واستدعي قادة الجيش لرؤيتها ، حتى إذا كان هناك نقص في أي شيء توجب توفيره بوساطة المواد أو بعبقرية الرجال حيث يدللون عليه ويظهرونه ، ولقد أجابوا أن مثل هذا العمل الخشبي لم يشاهد له مثيل في الصنعة من قبل فوق وجه البحر ، ولقد أدركنا أنه متوجب علينا الاسراع ، بسبب القذائف المتوالية للمجانيق ، وكان الجسر الذي ينتقل عليه أعداء العقيدة من المدينة الى البرج قد تدمر في جزء كبير منه ، وبناء عليه في اليوم السادس قبل عيد القديس بارثلميو (١٨ — آب) قمنا بمسيرة بأقدام حافية الى الصليب المقدس ، مع ايمان وتقوى من جانب شعبنا ، وبعدما التمسنا بتواضع العون

السماوي ، وأن تكون المسألة حرة من كل حسد ، وفارغة من كل تفاخر ورعونة ، بعد هذا استدعينا للقيام بتنفيذ هذه المهمة بعض الرجال من جميع الأمم التي توفرت آنذاك في الجيش ، مع أن أمتي الألمان والفريزيين كانتا كافيتين لشغل السفن وتوجيهها .

الفصل الثالث عشر

وفي يوم عيد القديس بارثلميو (٢٤ — آب) الذي وافق اليوم السادس على فيضان النيل بشكل عنيف ، أعاق فيضان الماء وقوة التيار عملنا كثيراً ، وبصعوبة بالغة وبخطورة أمكن جر هذه الآلة في وجه التيار وذلك من المكان الذي صنعت فيه الى البرج ، ومضت سفينة صغيرة مرافقة لهذه الآلة على محاذاتها وهي منشورة الأشرعة ، وسار الكهنة بأقدام عارية على الشاطىء بمثابة تأييد ودعم ، وعندما وصلت الآلة والسفينة الى البرج ، لم تستطع ترتيبات مضاعفة ادارتها وجعلها تلتفان نحو الجانب الغربي ، لكن بتقدمها نحو الأمام وضعت الآلة بشكل مباشر باتجاه الجانب الشمالي ، وأمكن بوساطة الحبال والمراسي تثبيتها أخيراً ، مع أن قوة المياه الفائضة جهدت في سبيل إعادتها الى الخلف ، وجرى وضع ست آلات قذف أو أكثر من الآلات الأخرى ، وقد تحطمت بعد عدة ضربات وتوقفت عن العمل ، غير أن الآلات الأخريات قذفن بدون إعاقة الأحجار مثل زخات البرد وكان الخطر الذي واجهته السفينة الأولى عظيماً ، ولا يقل عما واجهته الآلة ، لأنها وقفت عند أسفل البرج ، وكانت النار الاغريقية التي قذفت من برج النهر قد قذفت من مسافة قريبة ، أما التي قذفت من المدينة ، فكانت أشبه بالبرق ، وكان بإمكانها بعث الشعور بالرعب ، وقد استعان الذين عملوا في سبيل اطفاء النار بالسوائل الحامضة وبالحصباء والرمل وبوسائل أخرى .

وسجد البطريرك وسط الرمال أمام خشبة الصليب ، أما رجال

الدين فقد وقفوا عراة الأقدام ، وهم يرتدون الأزياء الطقوسية ، وكانوا يصرخون رافعين أصواتهم نحو السماء ، وتمكن المدافعون عن البرج بوساطة مدّ رماحهم من تلويث واجهة السلم بالزيت ، ثم إنهم أضافوا النار ، مما جعل السلم يلتهب ، وعندما ركض الصليبيون الذين كانوا عليه لإطفاء النار، ضغطوا على رأس السلم بوزنهم الكبير، مما جعل الجسر المتحرك المقام قرب حافته ينحني ، وسقط حامل راية دوق النمسا من على السلم ، واستولى المسلمون على راية الدوق وخيل للمصريين أنهم كانوا المنتصرين لذلك صرخوا بشكل جنوني ، وجعلوا الهواء يضطرب بسبب صراخهم ، وترجل الصليبيون من على ظهور خيولهم ، وتمددوا وهم يتضرعون ويضربون أيديهم ، ودموعهم تنهمر على وجوهم حزناً ، وهم يعبرون عن شفقتهم نحو الذين كانوا يتحملون المخاطر في أعماق النهر ، وحزناً منهم على خسارة المسيحية كلها ، واستجابة نحو هذا الدعاء والتقوى الصادرة عن الشعب ، ولأجله ، تدخلت العناية السماوية فرفعت السلم ، وأطفأت دموع المؤمنين النار ، وهكذا جدد رجالنا نشاطهم وقاتلوا برجولة المدافعين عن البرج بمختلف الأسلحة من سيوف وفؤوس ودبابيس ووسائل أخرى ، وكان واحداً من الفرسان الشباب من أسقفية لييج أول من تمكن من الصعود الى البرج ، وكان هناك أحد الشباب الفريزيين بيده العصا التي تستخدم عادة لضرب سنابل القمح لفصل الحبوب ، وقد قام هذا الشاب بتحويل هذه الدرّاسة الى أداة قتال بربط سلسلة بها ، وهكذا أخذ يطوح بها ذات اليمين وذات الشمال ، فأصاب أحد الرجال ، وكان يحمل راية السلطان الصفراء ، وألقاه أرضاً وانتزع الراية منه ، وجاء واحد تلو الآخر فأهلكوا رجال الأعداء الذين كانوا معروفين بقسوتهم وشراستهم أثناء الدفاع ، ما أروعك أيها اللطف الرباني اللامحدود ، ويا أيها السرور الذي لا يمكن وصفه الذي تمتع به الصليبيون ، فبعد

الحزن والأسى ، وبعد النحيب والبكاء رأينا متعة النصر ، « نحمدك أنت يا رب » و«مبارك أنت أيها المولى رب اسرائيل » ، وأنشدوا تراتيل حمد أخرى للسماء ، وغنينا لسرورنا ، وتمازجت أصواتنا مع الدموع ،وكررنا شكرنا .

الفصل الرابع عشر

وقام بالوقت نفسه المسلمون الذين انسحبوا الى الجزء الداخلي من البرج بإشعال النار تحت الجزء العلوي من البرج ، وأحرقوه ، وصحيح أن رجالنا كانوا هم المنتصرين ، غير أنهم تراجعوا بوساطة السلم ، لعدم قدرتهم على تحمل الحرارة ، أما بالنسبة للجسر الذي أعد في الجزء الأسفل من الحصن ، فقد أنزل الى الجزء الضيق من أسفل البرج ، والماء العميق يتدفق من حوله من جميع الجوانب ، وهاجم المنتصرون الباب وبأيديهم مطارق حديدية ، بينما تولى المسلمون الدفاع عنه من الداخل ، وبقي كل من التحصينان لا يرامان ، وخرقت مراقي السلم جزئياً ، مع اطار العمل الذي أمسكه مع بعضه بوساطة حبال قوية جداً ، بوساطة ضربات المجانيق واستمر هذا الخطر من الساعة التاسعة من اليوم السادس حتى الساعة العاشرة من الأحد التالي (٢٥ — آب)، ولكن ما كان يشبه الشبكة حيث أعد لحماية السلم بقي بدون أذى ، وذلك مع الحصن الذي وضع فيه المنجنيق والعرادات ، التي تولت حمايته ، وأخيراً بعد ما تمكنا من تطويق البرج ، طلب المسلمون التفاوض ، وفي ظل المحافظة على أرواحهم وأنهم لن يتعرضوا للموت ، استسلموا لدوق النمسا باستثناء الذين رموا بأنفسهم في الليلة الماضية من النوافذ ، ونجوا من الحصار المشدد على البرج ، وكان عدد كبير منهم قدغرقوا في النهر وهلكوا ، لكن بلغ تعداد الأسرى مائة رجل .

الفصل الخامس عشر

ومع أن المصريين اضطربوا منذ ذلك اليوم وارتعبوا ، واستعدوا للفرار كما اعتقدنا ، انغمس قادتنا بالكسل والتقاعس حسبما كانت عادتهم ، وأبدعوا وسيلة لتأجيل المفاوضات ولم يقلدوا يهودا المكابي الذي « رأى أن الوقت هو لصالحه » لذلك لم يعط الأعداء أدنى راحة

الفصل السادس عشر

واستعدت السفن للانسحاب ، وكان هناك حشداً كبيراً من الفريزيين والتيوتون قد انطلقوا للسفر بعبور الصليب المقدس ، وقدم في ذلك العبور (٥١) بعض الرومان ، وجاء بعد ذلك أسقف ألبانو وكان هو نائب الكرسي الرسولي (٥٢) وكان معه أمير روماني (٥٣) ، ثم جاء بعده رئيس أساقفة بوردو (٥٤) ، الذي قام بتأخير نافع ، ثم أساقفة أنغر (٥٥) Angers ، ومانوتا mantua (٥٦)، وهومانا Humana (٥٧) وسالبي (٥٨) salppi ثم جاء من بعدهم المعلم روبرت أوف كوركون Courcon لكاردينال الأسقف للقب القديس ستيفن فوق جبل سيليو (٥٩) Celio ، وأساقفة باريس (٦٠)، وجيرونا(٦١)، وايرلو Erlau (٦٢) وهنغاريا ، الذي مات قبل عبور النهر فوق رمال دمياط ، وكذلك الكاردينال روبرت، وجاء كونت نافار(٦٣) أيضاً ، الذي عندما واجه الخطر المهدد تراجع لضرر الصليبيين وأذاهم ، وجاء كونت التخوم (٦٤) (لي— مارشي) ، وكونت أوف بار (٦٥) BAR وابنه (٦٦) وأخو وليم أوف تشارترز ، وهو مقدم جيش الداوية (٦٧) ، وهيرفه أوف فيرزون (٦٨) Herve of Viertzon وايثير أوف تاوسي (٦٩) Ithier of

Toucy وأولفر ابن ملك انكلترا ، وعدد كبير آخر من بيوتات الفروسية ، ومن عامة الناس ، حيث أنهوا حياتهم عند دمياط ، فكثير منهم كانوا شهداء من أجل المسيح ، وعدد أكبر اعترفوا بالمسيح ، فتحرروا من العناية الانسانية عند دمياط ، وذهبوا ماضين الى الرب .

الفصل السابع عشر

« هو حكيم القلب وشديد القوة . الفاعل عظائم لا تفحص وعجائب لا تعد . الجاعل المتواضعين في العلى فيرتفع المحزونون الى أمن » (أيوب ٩/ ٤ ، ٥/ ٩، ١١) ، فهو وحده الذي نال التعظيم في حصار دمياط ، لأن الذي حدث هنا لم يشابه ما حدث في الحملات الأخرى ضد المسلمين ، عندما تهيأت الفرص المختلفة من خلال الحكمة البشرية ، أو من خلال جهود المقاتلين ، بل من خلاله نفسه عمل بشكل اعجازي ، وقد تمّ من خلال قواه الربانية ما لم يتصوره الانسان أو يطلبه ، ولم يعط المجد للملوك أو للأمراء الآخرين أو الأمم ، بل لاسمه ، وبذلك تحقق من خلالنا نحن المذنبين الوعد النبوي بقوله :« الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون »(الخروج : ١٤/ ١٤).

الفصل الثامن عشر

بعد الاستيلاء على البرج القائم في عمق نهر النيل ، صار سيف الدين أكثر شيخوخة بسبب الأيام العاتية والمرض ، وهو الذي لم يكن الوريث لأبناء عمه ، لكنه المغتصب لممالك آسيا ، هذا الرجل مات ودفن في الجحيم ، وبعد هذا في يوم عيد القدس دنس (٩ — تشرين أول) ، قدم المسلمون بشكل غير متوقع مع غلايين مسلحة

وهاجموا المكان الأهم في المعسكرات ، حيث كان الرومان قد نصبوا خيامهم ، وقد جرى صدهم بوساطة قوة صغيرة من الصليبيين ، وقاتل هناك الملك جون ملك القدس برجولة بناء على تحريض وتشجيع من أسقف بيت لحم ، وذلك عندما طاردهم ، لدى فرارهم مسرعين عائدين الى غلاييهم ، ومع ذلك هم لم يتمكنوا من النجاة من سيوف مطارديهم ولا من تيار النهر ، وحدث الآن مثلما حدث للمصريين من قبل داخل المياه الهائجة في البحر الأحمر ، فقد ابتلعت مياه النيل حوالي الألف من المصريين ، وذلك حسبما عرفناه فيما بعد من المسلمين .

وفي يوم عيد القديس ديميتريوسDemtrius(٢٦ تشرين أول) الذي قيل بأنه كان أخاً من ناحية الأم للمبارك دنس ، هاجم العدو معسكر الداوية عند الفجر ، ومع أن رجاله الحقوا بنا بعض الخسائر الطفيفة ، لقد تم صدهم بوساطة فرساننا المتيقظين ، وهربوا الى الجسر الذي بنوه على مسافة ضئيلة من الجزء الأعلى من النهر ، وقد قتل منهم حوالي الخمسمائة ، وذلك حسبما عرفنا من خلال المتخلين عن جيشهم والهاجرين له .

الفصل التاسع عشر

وبعد هذا بما أن عدداً كبيراً من الصليبيين كانوا مرضيين بالنسبة للرب، كان من الضروري إجراء عملية امتحان لتكون برهاناً لهم، فيونس ألقي بالبحر بسبب الاضطراب الذي عصف به، وسجن في داخل بطن الحوت، ثم عاد إلى اليابسة عندما جاز الامتحان، ونجا الرسول عندما امتحن ثلاث مرات بغرق السفينة، واستحق شعب الرب الامتحان بعدما قام بالصوم لمدة ثلاثة أيام، الأمر الذي راعاه رجال الدين عن

طواعية حيث صاموا على الخبز والماء، وبعدما جرت عدة مسيرات بناء على أمر اللورد بيلا غوس المبجل، وهو أسقف ألبانو، ونائب الكرسي الرسولي، ذلك أنه في عشية عيد القديس أندرو الرسول (٢٩ — تشرين الثاني)، في منتصف الليل ثارت أمواج البحر، وتضاعف حجمها، وتقدمت بشكل مخيف حتى باتجاه معسكر الصليبيين، واندفع النهر من الجانب الآخر، وأخذنا على حين غرة، فطفت الخيم، وأتلفت الأطعمة والميرة، وتكومت أسماك النهر والبحر، وكأنها لاتخشى شيئاً، في أماكن نومنا، وأمسكناهم بأيدينا، ومع هذا كنا مسرورين لأن نكون بدونها، ولولا فضل خطة روح القدس، والاعدادات التي تمت من قبل ببناء الحاجز الدفاعي الذي أقيم من أجل مصالحنا، لكانت مياه البحر قد تلاقت مع مياه النهر، وجرفت نحو الأعداء الرجال مع الحيوانات، والسفن مع الأسلحة وميرة الأطعمة، وفي وسط هذه المخاطر، كانت هناك على كل حال أربع سفن شيدت عليها قلاع من أجل الاستيلاء على المدينة ، ولم تتمكن هذه السفن من النجاة ، فبوساطة هجوم واحد حملن مع سفينة كانت قد وقعت في وسطهن ، وتم سوقهن إلى الشاطىء المقابل بقوة الرياح ، وهناك أحرقن أمام أعيننا بالنار الاغريقية . ووفر الرب جهود الفريزيين والألمان الذين بوساطتهم تم الاستيلاء على البرج ، أما السفن المحملة اللائي كن واقفات في ميناء البحر فقد فقدن عندما تقطعت فجأة حبالهن ، واستمرت هذه العاصفة لمدة ثلاثة أيام متواصلة ، وعندما انتهى هذا فإن الرب « الذي يعزينا في كل ضيقنا .انتهر الرياح والبحر فصار هدو عظيم . ووقف البحر عن هيجانه » (متى : ٨/ ٢٦، كورنثه ٢/ ١/ ٤/ ، يونان : ١/ ١٥)

الفصل العشرون

الى جانب هذا أصيب عدد كبير من الجيش بأحد الأمراض الذي

عجز الأطباء عن ايجاد علاج له في براعاتهم ، وهاجم وجع مفاجىء الأقدام والأرجل ، وغطى بالوقت نفسه جلد فاسد اللثة والأسنان ، مزيلاً القدرة على المضغ ، وغطى سواد مخيف الذقون ، وهكذا بحكم المعاناة الطويلة من المرض المنتشر ، مضى كثيرون الى الرب مع كثير من الآلام ، وعاش بعضهم حتى الربيع . ونجوا، وجاءت نجاتهم بفضل ازدياد الحرارة .

الفصل الحادي والعشرون

وبعد المعاناة المتقدمة الذكر ، استعدت السفن لعبور النهر ، وأما الذين كانوا عرضة لمخاطر عظيمة فيما بين المدينة والبرج المستولى عليه ، فقد أعاقتهم كثيراً النار الاغريقية والنشاب ، ولقد حدث أن إحدى سفن الداوية (٧١) انتزعها التيار العنيف وحملها الى الجانب الأقرب من المدينة نحو الأعداء ، الذين هاجموها بالجروخ والكلاليب الحديدية ، وقذفوها بالنار الاغريقية وبالحجارة من الأبراج في الأعلى ، وبما أنهم لم يحققوا السيطرة بسبب شجاعة المدافعين عنها تسلقوا عليها بكل حماس ، ورموا بأنفسهم مباشرة فيها ، وانقضوا على الداوية وبعد قتال طويل خرقت السفينة أخيراً (لا نعرف أتم ذلك بوساطة الأعداء أم بوساطة رجالنا) ومضت نحو الأعماق مغرقة المصريين والصليبيين وهكذا بصعوبة بالغة ظهر رأس الصاري فوق وجه الماء ، ومثلما فعل شمشون حيث «كان الموتى الذين أماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته »(القضاة : ١٦/ ٣٠) فعل هؤلاء الشهداء حيث جرّوا معهم إلى أعماق المياه أكثر من الذين كان بإمكانهم قتلهم بالسيف ، وبكى أهل دمياط وناحوا من أجل نصرهم الدموي لقرابة سبعة أيام ، وبعد هذا بينما كانوا يرممون الجسر تركوا فتحة صغيرة ، وهكذا لم يعد بإمكان سفننا الذهاب من

دون خطر، لكن الألمان والفريزيون امتلأوا بالحماس وبغضب مسوغ ، فقاموا وليس معهم من عون سوى عون السماء ، فقاتلوا برجولة الجسر بوساطة السفينة الصغيرة ، التي بعونها تم الاستيلاء على البرج ، والتي يدعوها الغاليون « الأم المقدسة » ، وتسلق أقل من عشرة رجال من الأمة المتقدمة الذكر الجسر، في وجه جميع المقاومة الصادرة عن المصريين ، وكان هناك حشد كبير من الصليبيين يراقبون ما يحدث ، ويمتدحون جرأتهم ويثنون عليها ، ودمروه ، ودمروا معه السفن الأربع التي أقيم فوقها الجسر، وعادوا منتصرين ، تاركين الطريق حراً ومفتوحاً من أجل السفن التي كانت تبحر صعوداً.

الفصل الثاني والعشرون

وعندما تم انجاز هذا كله ، قام المسلمون وهم ينتظرون الخطر الذي يهددهم بتحصين طرف النهر المواجه لنا بالسواتر الدفاعية المدعومة بما يشبه الملاط والطين وقطع خشب جاهزة ، وأقاموا المجانيق والعرادات هناك وبذلك انتزعوا منا الأمل بالعبور من ذلك المكان ، وكذلك عملوا عند القلعة التي كانت على قرابة ميل من المدينة ، حيث انتهت جميع التحصينات الجديدة ، فقد أغرقوا عبر النهر كله سفناً وغرسوا أعمدة في أماكن الدوامات ، ومع هذا فإن نائب الكرسي الرسولي ، الذي كانت لديه رغبة جيدة في محاصرة المدينة ، قام بحث السفن للاجتماع على مسافة من هناك للقيام بالعبور، وكانت السفن محصنة ومقواه بالدفاعات وبالحصون وكذلك بالرجال المسلحين وذلك مع الغلايين والسفن الأخرى ، وكان المسيح قائدهم أثناء العبور، فنجوا من السفن المغرقة المشار اليها أعلاه ، ولكن العدو تظاهر بالخوف ومع ذلك مركز ثلاثة أرتال من الرجال في مواجهة صفوف سفننا : وكان أول الأرتال من الجنود

الرجالة واقفاً على الشاطىء ، ومع رجاله ترسة من النوع الذين يدعونه الدرابيء ، وقد تمركزوا على شكل صفوف ، ووقف الثاني من خلفهم مثل الرتل الأول،وتألف الرتل الثالث من الخيالة،وكان رتلاً طويلاً ومخيفا،وهدد صفوف الصليبيين بوساطة زخات من الحجارة وبأسلحة أخرى.

يضاف الى هذا أنه في ليلة الاحتفال بعيد القديسه أغاثا، العذراء والشهيدة(٥ شباط ١٢١٩) عندما اجتمع الناس من المؤمنين الذين كانوا سيعبرون في اليوم التالي،أضافت الأمطار والرياح الكثير من الرعب والمصاعب لرجالنا،لكن«الرب أمين» و«لن يدعكم تمتحنون فوق ماتستطيعون»(كورنثه : ١/ ١٠/ ١٣) ، وهكذا نظر الى معسكر عبيده ، فحول الى يسر وسرور أشياء أخرى كانت لأدنى الأسباب صعبة أو غير ممكنة ، وجدد روائع قوته ، فبعد منتصف الليل ألقى رعباً هائلاً في قلب سلطان مصر وضباطه ، الى درجة أنهم تخلوا عن المعسكر بشكل كان غير معروف حتى بالنسبة للمصريين الذين تولى صفهم من أجل المقاومة ، ووضعوا آمالهم في الفرار فقط ، وقام أحد المرتدين ، الذي كان قد خرق القانون المسيحي لبعض الوقت ، وقاتل الى جانب السلطان ، بالوقوف على طرف النهر ورفع صوته صارخاً بالفرنسية :« لماذا أنتم متأخرون ؟ لماذا أنتم خائفون ؟ لماذا أنتم مترددون ؟ لقد ذهب السلطان بعيداً» ، وبعدما قال هذا طلب أن يعاد الى احدى السفن ، فبوضعه تحت سلطانهم يمكنه أن يبرهن على صحة كلماته ، وبناء عليه في الفجر الباكر ، عندما بدأ قداس يوم العيد بغناء المسيحيين للكلمات التالية :« دعونا جميعاً نبتهج » تمّ إعلام النائب الرسولي والملك مع الآخرين ، وهكذا مع فرار المصريين عبر رجالنا بحماس وسرعة بدون عوائق من جهة العدو وبدون إراقة للدماء .

لكن أرض الأعداء كانت موحلة جداً ومن الصعب النزول عليها وبسبب عمق المياه سيقت الخيول من دون سروج أو ركاب ، ومع ذلك لاقت صعوبة بالغة بالوقوف ، ثم إن قادة الداوية الذين تمكنوا من امتطاء الخيول ، رفعوا أعلامهم ، وبادروا مسرعين نحو المدينة بزحف سريع وألقوا أرضاً الأشرار الذين قدموا بكل جرأة من الأبواب لمقاومة الذين كانوا يتقدمون :« فالفأس لن تفتخر على القاطع بها ، كذلك لن يتكبر المنشار على مردده » (إشعيا : ١٠/ ١٥) ، فبأي شيء سوف نعادل هذه المعجزة أو نقارنها إلاّ بما نقرأ عنه فيما يتعلق بابن حدد ملك سورية الذي حاصر السامرة (انظر الملوك : ٢/ ٦/ ٢٤) ،وأنهكها كثيراً ، فبعث اليه الرب رعباً جعله يهرب من معسكره ، وكما أن فرار السوريين قد أعلن للسامرة بوساطة المجذومين الذين كانوا عند مدخل البوابة ، كذلك جاء الاعلان عن فرار المصريين بوساطة واحد كان مصاباً بالجذام في روحه، وأعني به المرتد السالف الذكر ، ومثلما جمع شعب السامرة الأسلاب التي تركت في معسكر السوريين كذلك فعل جيشنا فنهب الخيام واستولى على غنائم الذين كانوا يفرون ، واستولى المنتصرون على كثير من الدرابيء وعلى جميع الغلايين ، مع البراكيس وبقية السفن التي وجدوها تحت القلعة بعيداً حتى المدينة ، مع أسلاب أخرى، وكان عدد كبير من المحاربين قد تركوا زوجاتهم وأولادهم ، وهربوا من دمياط ، لاستيلاء الرعب عليهم بسبب الجواز غير المتوقع ، وحوصرت المدينة بإحكام وطوقت ، لأن الجيش قد اجتمعت عناصره بوساطة إعداد جسر كان يلامس طرفي النهر .

الفصل الثالث والعشرون

وحدث أنه من خلال الكسل والتراخي من قبل الذين الرب

يعرف أسماءهم أن المعظم (عيسى بن العادل) وصل ومعه رجال حلب وحشد كبير، وتجدد نشاط الأعداء واستردوا شجاعتهم ، فاستولوا على المكان (٣ — أيار) الذي عبر منه رجالنا عبوراً اعجازياًوهكذا فيما نحن نحاصر المدينة لقد تولوا حصارنا بشكل أعظم خطراً ، ولولا توفر إلهام رباني جعل المعسكر الأول الذي كان قائماً فيمابين البحر والنهر ، يحافظ عليه من قبل الألمان ، وخاصة من قبل الفريزيين ، لتم الاستيلاء على الميناء مع انتزاعه منا وبذلك كان العمل سيتعرض كله الى خطر عظيم ، وسوف يتعطل ، ولكن حتى تغدو معجزة العبور أكثر شهرة ومن أجل أن تعزى من دون أدنى تردد الى المسيح وحده ، وصل المسلمون الى درجة التهور، عند صباح السبت قبل Oculi meic semper الأحد (٩ آذار) ، ولأننا لم نتوقع مثل هذا الخطر ، فقد اقتربوا أكثر مع حشد عظيم ، وضغطوا علينا حتى الدفاعات ، لكن بوساطة العون الرباني أمكن صدهم وردهم الى الخلف ، مع خسائر بالخيالة وبالجنود الرجالة .

الفصل الرابع والعشرون

في سنة النعمة لـ ١٢١٩ ، هدمت القدس ، ملكة المدن ، والتي بذت بحصانتها أنها لا ترام ، هدمت من الداخل ومن الخارج من قبل المعظم عيسى ابن سيف الدين (١٩ — آذار أو ٢٥) ، وتحولت أسوارها وأبرجتها الى أكوام من الحجارة باستثناء المسجد الأقصى وبرج داود ، وتشاور المسلمون حول تدمير الضريح المقدس الرائع ، وهددوا بهذا من خلال رسائل بعثوا بها الى سكان دمياط لطمأنتهم وتسكينهم، لكن ما من أحد أقدم على مدّ يده الى مثل هذا العمل الجريء ، بسبب تبجيل المكان ، لأنه حسبما كتب في القرآن ، الذي هو كتاب شريعتهم ، هم يعتقدون أن يسوع المسيح إلهنا قد حملت

به العذراء مريم وولد منها ، وأكدوا أنه عاش من دون ذنب كنبي وأكدوا بكل اصرار أنه أعطى النظر للأعمى ، والشفاء للمجذوم وأقام الميت ، وهم لا ينكرون كلمة الله وروحه ، وأنه صعد وهو حي الى السماء ، لكنهم ينكرون آلامه وموته ، وأن الطبيعة اللاهوتية متحدة أيضاً بالطبيعة الناسوتية في المسيح ، ومثل هذا هم لا يعترفون بثالوث الأشخاص ، وبناء عليه ينبغي دعوتهم هراطقة ، وليس مسلمين ، ولكن استخدام الأسم الزائف هو الذي انتشر وساد ، ولهذا في أيام الهدنة ، عندما ذهب عقلاؤهم الى القدس ، طلبوا مشاهدة نسخ من الأناجيل ، وقبلوا هذه النسخ وبجلوها بسبب نقاء الشريعة التي بشر بها المسيح ، ولاسيما انجيل لوقا لأنه جاء فيه : « أرسل جبرائيل الملاك » (لوقا : ١/ ٢٦) ، الأمر الذي غالباً ما ردده المتعلمون منهم ، وتذكروه في أذهانهم ، ... وشريعتهم التي أعطاها محمد (صلى الله عليه وسلم) الى المسلمين قد كتبت بالعربية ، وقد بدأت بالسيف ، وقامت وحوفظ عليها بالسيف ولسوف تنتهي بالسيف، ولم يكن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نفسه متعلماً ، حسبما أوضح ذلك في قرآنه ..... (تكملة هذا الفصل وقوامها خمسة أسطر بشعة ، فيها حقد وجهل فاضح . وليس فيها ما يفيد لذلك آثرت عدم ترجمتها).

الفصل الخامس والعشرون

في يوم أحد السعف ، من السنة السالفة الذكر (٣١ — آذار) ، قام أعداؤنا بكثير من التهديدات ، وقالوا بأنهم سوف يدمرون أنفسهم أو يدمروننا جميعاً في يوم واحد ، وجمعوا جيشاً لا يعد ولا يحصى من الجنود الفرسان والرجالة الذين لا يعرفون الخوف وانقضوا علينا ، وهاجموا سواترنا الدفاعية من جميع الجهات ، ولا سيما جسر الداوية ، ودوق النمسا ، الذي كان متحمساً للدفاع مع الألمان ، وقام العدو ،

مع نخبة من الجنود ، بالقفز من فوق ظهور خيولهم وتحاربوا بقسوة مع الصليبيين ، وركزوا جهودهم على هذا الجانب وسقط عدد كبير قتلى وجرحى ، وأخيراً تسلقوا الجسر وأحرقوا شطراً منه ، ولدى التخلي عن الجسر ومغادرته أعطى دوق النمسا أمراً الى رجاله أن عليهم اعطاء فرصة للاقتراب مع مدخل لهؤلاء الذين كانوا يضغطون علينا ، لكنهم لم يتجرأوا على الدخول بسبب جيشنا الذي عبأ صفوفه لتكون عوناً للذين يتولون الدفاع عن التحصينات ، وقامت النساء بدون خوف بجلب الماء والحجارة والخمرة والخبز الى المقاتلين ، وثابر الكهنة على صلواتهم ، وتولوا تضميد جراحات الجرحى ومباركتهم ، ولم نعط الفرصة في ذلك اليوم لحمل سعف النخل ، بل حملنا القسي العقارة ، والقسي العادية والسهام والحراب ، والسيوف ، والترسة ، ولقد قاتلونا بعنف منقطع النظير وضيقوا الخناق علينا من شروق الشمس حتى قرابة الساعة العاشرة ، والمهم ، أن أولئك الذين قدموا لتدميرنا مع الرغبة في تحرير المدينة تراجعوا أخيراً منهكين مع خسائر عظيمة .

الفصل السادس والعشرون

لم يكن حلول عبور الربيع قريباً ، وكان دوق النمسا ناوياً على الانسحاب ، فهو الذي قاتل لمدة سنة ونصف السنة بإيمان خالص من أجل المسيح ، وكان مليئاً بالمشاعر الدينية ، ومتواضعاً ، ومطيعاً وكريماً، فبالاضافة الى جميع النفقات التي لا تحصى التي تحملها أثناء الحرب ومن خلال المساعدات الفردية ، من المعتقد أنه منح بيت التيوتون ستة آلاف مارك فضي أو أكثر ، من أجل الحصول على أرض، وأعطى من أجل الحصن الجديد العائد للداوية خمسين ماركاً ذهبياً ، ولهذا الحصن أعطى أيضاً إيرل أوف تشستر (٧٢) خمسين ماركاً

فضياً من أجل تقوية أسواره وأبراجه .

الفصل السابع والعشرون

بدأ في أول أيار حشد كبير من الحجاج بالانسحاب ، تاركيننا في الخطر العظيم،لكن أبانا اللطيف والرحيم ، وقائدنا وآمرنا ورفيقنا في السلاح يسوع المسيح الذي هو « وقاء ودفاع للمحتمين به ، لأنه سهل عليه الانقاذ إما بكثرة أو بقلة ». (المزامير ١٨/ ٣١ ، الملوك ١٤/ ٦) لم يأذن لغير المؤمنين بالانقضاض علينا حتى وصول الحجاج الجدد الحاليين مع وفرة من المساعدات ، والميرة والمؤن والخيول التي بعثت بوساطة قوة سماوية لسرور حشد المؤمنين ، وبناء عليه في عيد صعود الرب (١٦ أيار) عندما تجدد تعداد جنود المسيح ، الأعداء الذين لا يوثق بهم ، انقضوا علينا وفقاً لعاداتهم براً وبحراً ، وعندما وجدوا أنفسهم غير قادرين على السيطرة ، مع أنهم قاموا بعدد كبير من المحاولات ، قاموا بتحدي رجالنا ، خاصة قرب المعسكر ، حيث تكبدوا خسائر وألحقوا بنا خسائر ، وفي يوم ٣١ تموز تقدموا ومعهم جميع القوات التي أمكنهم حشدها ، وبعد عدد من الحملات ، عبروا أخيراً السواتر الدفاعية في مواجهة لجيش الداوية، وخرقوا بعنف شديد الحواجز ، وأرغموا جنودنا الرجالة على الفرار ، الى درجة أن جيش الصليبيين كله بات في خطر عظيم ، وحاول فرسان فرنسا وجنودها ثلاث مرات ردهم الى ما وراء السواتر الدفاعية ، غير أنهم لم يكن بإمكانهم فعل ذلك ، وبعدما تمكن المسلمون من تدمير دفاعاتنا الخشبية ، مركزوا صفوفاً من الخيالة والجنود الرجالة داخل أسوارنا ، وارتفعت أصواتهم وهم يسخرون منا، وأعد الحشد كله عتاده وما لديه ، فقد سيطر الرعب بعمق على الصليبيين ، غير أن الروح التي جاءت الى جدعون شجعت الداوية ،

فقد قام مقدم الداوية مع مقدمي بقية الفرسان الذين كانوا موجودين ، بهجوم من خلال واحد من الممرات الضيقة ، وتمكنوا برجولة من إرغام غير المؤمنين على الفرار ، وعندما رأى فرسان بيت التيوتون والكونتات والفرسان الآخرون من مختلف الأمم ، أن جيش الداوية كان في وضع خطر ، بادروا مسرعين لتقديم العون من خلال ممرات توفرت أمامهم ، وهكذا ألقى رجالة المسلمين ترستهم وقتلوا فيما عدا الذين فروا دونما توقف فانتزعوا أنفسهم من براثن قتلتهم ، ومضى جنودنا الرجالة خلف فرساننا ، وتراجع العدو الى مسافة قصيرة ، وظلت أرتالهم المسلحة ثابتة هنا وهناك حتى حلول المساء وانتشار الظلام ، فذلك وضع حداً للقتال ، وكان المسلمون هم أول من تراجع وأوقف القتال ، وظلت أجساد القتلى ممددة بتعاسة ومبعثرة قرب دفاعاتنا بأعداد كبيرة ، باستثناء الذين أصابتهم جراح خطيرة أو خفيفة وأعيدوا الى المعسكر ، وهكذا أنقذ الرب في ذلك اليوم الذين وضعوا أملهم فيه من خلال شجاعة الداوية والذين عملوا متعاونين معهم ، والذين كرسوا أنفسهم للصراع ، وكان عدد قليل من رجالنا قد قتلوا ووقعوا بالأسر.

الفصل الثامن والعشرون

واحترقت جميع الآلات التي أعدت ضد المدينة خلال الغارات التي جاءت من كثير من الجوانب وقام بها المدافعون عن دمياط ، وأكد البيازنة والجنويون والبنادقة (٧٣) وأصروا على الهجوم على المدينة باستخدام أربعة سفن علقت عليها السلالم :« إلا أنهم لم يكونوا من نسب أولئك الرجال الذين أوتوا خلاص اسرائيل على أيديهم » (المكابيون : ٥/ ٢/ ٦) ، ذلك أنهم رغبوا في صنع اسم وسمعة لأنفسهم فتقدموا نحو الأمام ومعهم الأبواق ومزامير

القصب وكثير من الرايات ، وزودهم نائب الكرسي الرسولي بكميات كبيرة من الأموال من الخزانة العامة ، وصنع الملك مع الآخرين كميات وافرة من الحبال والمراسي والكلاليب توقعاً لأن يحتاجوهم ، وهكذا هاجموا المدينة وقتلوا وجرحوا الكثيرين من اليوم الأول ، وغالباً ما قاموا بهجمات بعد هذا ، وفي الوقت نفسه تمت تقوية الأسوار بأبراج خشبية وبأسيجة ، وقاوم المدافعون المهاجمين بنشاط متزايد وبشدة أعظم ، وهكذا تعرضت السلالم للأذى بالنيران مراراً عدة ، ثم أعيد ترميمها ، وأخيراً القيت بالقوة على الضفة ، وباتت المحاولة محبطة وبلا ثمار ، وبات واضحاً ومفهوماً بأنه بالقوة الالهية وحدها يمكن أن تؤول دمياط الى أيدي الصليبيين.

الفصل التاسع والعشرون

لكننا نحن الذين بلا شعور وبلا عقل أو منطق لندرك منافع أفعال الرب التي قام بها وروعتها « أغظنا عيني مجده المقدس » (أشعيا : ٣/٨) : وجعلناهما ضدنا من خلال تراخي قادتنا وشكاوى الأتباع ، فقد وجه الجنود الرجالة اللوم الى جبن الفرسان ، كما واستخف الفرسان بمخاطرات الجنود الرجالة عندما زحفوا ضد المسلمين ، وبناء عليه حدث في يوم عيد قطع رأس القديس يوحنا المعمدان (٢٩ — آب) ، وذنوبنا العامة تتولى حثنا وتحريضنا إنه لم يعد هناك بالكاد أحد رغب بالبقاء محبوساً في المعسكر ولهذا قدنا متقدمين جيشًا برياً وبحرياً وزحفنا نريد معسكر المصريين بين البحر والنهر ، حيث لم تتوفر هناك مياه عذبة للشرب ، واستولينا على خيامهم ، وتظاهروا بالفرار ، وعندما زحف رجالنا الى نقطة كان واضحاً منها أن خصومنا لا يرغبون في مواجهتنا في اشتباك مكشوف بدأ رجالنا نقاشاً مديداً حول هل عليهم التقدم أم التراجع ، وانقسمت الآراء

والمشاعر فيما بينهم ، وفي الوقت نفسه تفرقت الأرتال باستثناء مجموعة ربطتهم طاعتهم بالنظام العسكري ،وأظهر فرسان قبرص (٧٤)، الذين كانوا على الأجنحة اليمنى جبنهم للمسلمين لأنهم لم يقوموا بالهجوم من جانبهم ، وهرب الجنود الايطاليون الرجالة أولاً ، وتلاهم الفرسان العائدون الى مختلف الأمم وكذلك بعض فرسان الاسبتارية ، وذلك في حين قام نائب الكرسي الروماني والبطريرك الذي كان يحمل الصليب المقدس فترجوهما بإخلاص وأمانة للوقوف في مكانهم ، لكن عبثاً كان ، وكانت حرارة الشمس مرتفعة جداً ، وكان الجنود الرجالة مثقلون بأوزان دروعهم وأسلحتهم ، وزادت متاعب الطريق الحرارة ، والذين جلبوا معهم خمرة شربوها دونما مزج بالماء بسبب ضغط العطش الشديد عليهم ،ولانعدام الماء، وبينما كانت هذه الأشياء تحدث ، حدث في الوقت نفسه للذين كانوا يدافعون عن أنفسهم ، لدى وقوفهم حيث هم ، وإدارتهم ظهورهم للذين هربوا أولاً وظلوا يركضون وهم منقطعي الأنفاس حتى زالوا من الوجود ، لقد حدث لهؤلاء أنهم تهاووا دون الإصابة بجراح ، لكن الملك صمد في وجه حملة المطاردين ، ومعه الداوية ، وفرسان بيت التيوتون وفرسان اسبتارية القديس يوحنا وكونتات : هولاندا ، ووبد ، وساربروكن وتشستر ، مع وولتر أوف بيرثوت Berth-out(٧٥) وعدة كونتات من فرنسا وبيزا ، مع فرسان آخرين ، وكاد الملك أن يحترق بالنار الاغريقية ، وعمل هؤلاء الرجالة بمثابة حماة للذين يفرون ، وغالباً عندما كانوا يبدون وجوههم للأعداء ، كان الأعداء يفرون ، لكن مع تراجعهم التدريجي توجب على هؤلاء الرجال تحمل ضربات أسلحة الأعداء

ووقع في الأسر أثناء الدفاع من الجانب الصليبي : الأسقف المنتخب لبوفياس (٧٦) مع أخيه (٧٧) الحاجب الأعظم لفرنسا مع ابنه (٧٨) ،

وفيز كونت أوف بلمونت Belmont (٧٩) مع أخيه أسقف أنغر Angers وجون أوف أركي ، وكان نبيلاًورجلاً نشيطاً (٨٠) ، وهنري أوف أولمن (٨١) uelmen وعدد كبير آخر كانوا قد قتلوا أثناء الأسر ، ووقع في الأسر ثلاثة وثلاثين من الداوية أو قتلوا مع مقدم اسبتارية القديس يوحنا (٨٢)مع عدد كبير آخر من الفرسان من التنظيم نفسه ، كما أن بيت التيوتون لم ينج من دون خسائر ، وكان جيش الداوية الذي اعتاد على أن يكون الأول في الاحتشاد، هو الأخير في التراجع ، وبناء عليه عندما وصل أخيراً في تراجعه الى دفاعاتنا توقف خارجها حتى يتمكن من جلب الذين كانوا ما يزالون أمام هذه الدفاعات الى ما ورائها ، أي الى داخل الأسوار إذا كان ذلك ممكناً ، وأخيراً عاد الذين كانوا يطاردوننا ليتولوا قيادة أسراهم وليجمعوا أسلابهم ، وعرضوا — كما علمنا فيما بعد من المسلمين — أمام السلطان خمسمائة رأس من رؤوس القتلى الصليبيين ، واستولى الحزن والأسى على رجالنا ، لكنهم لم يقنطوا ، لأننا علمنا أن هذه الانتكاسة جاءت عقوبة على ذنوبنا ، وأنه كان هناك تخفيف بالعقوبة أقل مما تستحقه الأخطاء التي اقترفناها ، ذلك أنه هو الذي يلطف العقوبات ، فهو الذي خاطب روح المذنبة بقوله :« أما أنت فقد زنيت بأصحاب كثيرين لكن ارجعي إليّ يقول الرب » (ارميا : ٣/ ١) ، وكان من الواضح بالنسبة لنا أن المسلمين عانوا من خسائر كبيرة داخل نخبة جيشهم ، فذلك اليوم كان «يوم شدة وتأديب واهانة ربانية » (الملوك : ٢/ ١٩/ ٣) ، وحقاً إن الرب رحيم فهو « الذي لا ينسى في إظهار الرحمة ، وغضبه لن يغلق رحمته ، فهو الذي في أوقات المحنة يغفر الذنوب ، وهو الذي يأمر النور بإنارة الظلام ، ويحّول حزننا الى بهجة » (مزامير: ٧٦/ ٩. طوبيا : ٣/ ١٣، كورنثه : ٢/ ٤/ ٦ . استير: ١٣/ ١٧) ،ذلك أن السلطان بعث بواحد من أسرانا للبحث معنا

فيما يتعلق بالسلام أو بالهدنة ، واستطعنا في أثناء المباحثات أن نرمم دفاعاتنا مع بقية التحصينات .

الفصل الثلاثون

وفي الوقت نفسه كان البحارة الذين تولوا خيانة الصليبين ، معهم عدد كبير جداً من الحجاج الذين أحبوا أنفسهم أكثر من التعاطف مع أخوانهم كانوا قد تخلوا عن عساكر المسيح وهم في وضع خطر جداً ، قبل الوقت المعتاد للعبور، ورفعوا أشرعة سفنهم، وغادروا الميناء ، وبذلك سببوا الاحباط لنا ، وتشجيعاً للمصريين .

وقام المصريون بقطع الإعدادات من أجل السلام عشية عيد القديسين كوزماسcosmas وداميان Damian،وفي يوم العيد التالي(٢٦— ٢٨ أيلول)،لابل حتى يوم السبت التالي، جاءوا مع غلايين وبراكيس فوق النهر،ومعهم مجانيق،وترسة،وجذوع أشجار من أجل طم الخندق وتسويته بالأرض،وهاجمونا وفق طرائقهم الشرسة والعنيفة،لكن المقاتل الجبار«المنتصر في اسرائيل»(الملوك:١/ ١٥/ ٢٩)استخدم لطفه المعتاد، فدافع عن معسكره،بارسال سافاري أوف (٨٣) موليون Savary of mauleon بوساطة البحر مع غلاييه المسلحة وعدد كبير جداً من المقاتلين،وقد وصل وقت الأزمة والشدة،وكنا نصرخ الى السماء،فلم يتردد بالاندفاع نحو القتال ،بل وقف برجولة على أرضنا،وحافظ على موقفنا،فقتل،وأرغم العدو بعد ماألحق به الجراحات وسبب له الفوضى،على الانسحاب والتخلي عما كسبه في ثلاثة أيام من القتال،وكان هذا بفضل قوته،فهو الذي ينقذ الذين يثقون به.